الجزء العاشر من السنة الثالثة

النوم والاحلام

تمهيد

اذا فتحت كتابًا وشرعت اقرأ مقالة في الحرية فواضح ان اوّل ما اتوخّى تحصيله منها هو فهم معانيها. ثم اذا عثرت فيها على ما يحثّ من اعدام الحرية من الاستعباد والاستبداد والجور والاعتساف وما ناب لذلك الارملة واليتيم من تعدي البغاة وما لحق باهل الحق من عتو الطغاة احس في نفسي بشيء غير ادراك المعاني فتارةً ارقّ وارثي وطورًا ارتاح وانبسط واخرى اغتاظ واغضب الى غير ذلك من الانفعالات التي تفعلها فيّ افكار كاتب تلك المقالة. حتى اذا بلغ انفعالي اعظمه واشتدّت بي امبال العدالة والانصاف لا اقتصر على مجرد الرقة او الكمد وغيرهما من الحاسات بل اعمد بنفسي الى اقامة الحق وابطال الباطل واغاثة المظلوم وتكسير نير الظالم. فهذه ثلثة افعال تفعلها النفس بعد ان تتهيأ لمطالعة تلك المقالة الاوّل فهم معانيها والثاني الحس الذي تحسّه بعد فهم معانيها والثالث ابراز مضمون تلك المعاني وذلك الحس من القوة الى الفعل. وانما قلنا ان هذه الافعال تفعلها النفس لان اللحم والدم لا يختص بها شيء منها بل النفس هي التي تفهم وتحس وتجري ما تفهمه او تنهمه وتحسّه. وقد سُمّيت بالنظر الى هذه الافعال الثلثة باسماء مختلفة فسُمّيت بالنظر الى ادراكها المعاني وعقلها اياها عقلاً وبالنظر الى تاثرها وتحرك اميالها بها حسًّا وبالنظر الى اجراء ما عقلته او حسّته بارادتها واختيارها ارادةً. فالنفس باعتبار افعالها اما عقل او حسّ او ارادة وواضح ان هذا التقسيم اعتباري لان النفس جوهر لا ينقسم فالنفس والعقل واحد في الجوهر

والعقل يعتبر ايضًا اقسامًا باعتبار قوته على فعل افعال متعددة مع انه جوهر لا ينقسم فيُسمّى باعتبار تذكره ما كان ادركه ذاكرةً وباعتبار تصوّره وتصرّفه في تصوّراته خيالاً ومتصرفةً وهكذا يقال باعتبار باقي افعاله التي تُعرَف بقوى العقل. ولا يخفى ان العقل ما زال عاملاً مفتكرًا ينتقل من موضوع الى آخر لروابط تربط تلك المواضيع بعضها ببعض وهذا ما يسمّى بائتلاف الافكار. فاذا لم توجهه الارادة وتحصره في موضوع من تلك المواضيع ينتقل بقوة ائتلاف الافكار انتقالات اغرب من اضغاث الاحلام. فربما الناظر بخارًا يصعد عن القدر ينتقل به الفكر الى الآلات البخارية ومنه الى السكك الحديدية وسرعتها العجيبة ومنه الى ما يفوقها سرعة كالنجوم الدائرة في افلاكها ومنه

الى عظمة الكون الفائقة التصوُّر ومنهُ الى الازلية والابدية وما اشبه فينتقل بهِ الفكر من بحار القدر الى البحث عن الازل والابد فان لم يحصر العقل بالارادة في موضوع واحد جرى كل مجرًى بلا ضابط

فيتضح مما سبق ان العقل (او النفس اذ هما واحد) هو الجوهر المدرك في الانسان فهو يدرك وجودهُ ووجود كل ما هو خارج عنهُ والافعال التي يفعلها ويميز نفسهُ من غيرهِ ويعرف انهُ هو هو ما توالت عليهِ الايام ولذلك لا ترى عاقلاً يجهل من هو . الاَّ انهُ لاقترانهِ بالجسد لا يتوصَّل اولاً الى ادراك وجودهِ ووجود ما في الخارج الاَّ بواسطة قسم من الجسد يسمَّى المجموع العصبي او الجهاز العصبي . اعني انهُ لو خلق انسان وعاش عادمًا المجموع العصبي لا العقل لعاش كل ايامهِ ولم يعلم بوجود نفسهِ ولا بوجود شيء خارج عنهُ بل كان كالنبات يحيا ولا يعقل . اما المجموع العصبي فعبارة عن الدماغ والحبل الشوكي والاعصاب الناشئة منهما والعُقَد

والدماغ يشتمل على الجمجمة وهو قسمان كبير ويُسمَّى المخ ومقرهُ في مقدم الجمجمة وصغير ويُسمَّى المخيخ ومقرهُ في الانسان اسفل المخ ووراءهُ وهو (اي الدماغ) جسم رخو شبيه بالشحم الذي في العظام ظاهرهُ سنجابيُّ اللون وباطنهُ ابيضهُ . فالسنجابي مؤلف من حبيبات صغيرة جدًّا تُعرَف بالخلويصلات والابيض مؤلف من الياف في غاية الدقة والصغر ومنها تنشأ اعصاب الدماغ وهي اثنا عشر زوجًا يتوزَّع اكثرها في الوجه وما حواليهِ ومنها اعصاب البصر والسمع والشم والذوق وبعض اعصاب اللمس

والحبل الشوكي جسم نخاعي مستطيل مستدير يتصل بالمخ والنخيخ ويتنزل في سلسلة الظهر وهو عين دودة الظهر عند العامة (شكل ١) وهو ايضاً سنجابي وابيض كالدماغ الاّ ان السنجابي فيه الى الباطن والابيض الى الظاهر بعكس ما في الدماغ وينشأ منهُ اثنان وثلثون زوجاً من الاعصاب

والعُقَد اجسام عصبيّة بعضها موضوع في الاعصاب المذكورة وبعضها منتظم على جانبي الحبل الشوكي طولاً في سموط عصبية وينشأ منهُ اعصاب أُخَر الى الاحشاء كالقلب والرئة والمعدة وغيرها . ويُسمّى مجموع الدماغ والحبل الشوكي واعصابها وما عليها من العقد المجموع الدماغي الشوكي ويُسمّى مجموع العقد الاخيرة واعصابها المجموع السمباثوي . ومعظم فائدة المجموع السمباثوي المحافظة على وظائف الحياة كالمحافظة على وظيفة التنفس والهضم وحركات القلب ونحوها ممّا عليهِ وقوف الحياة . ومعظم فائدة المجموع الدماغي الشوكي نقل الاخبار الى العقل وقضاء اوامره كما سترى

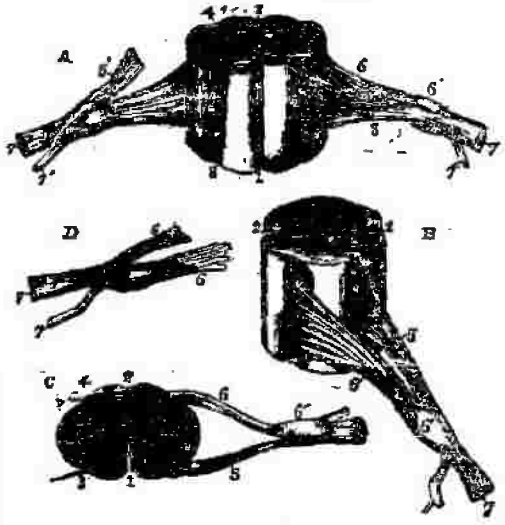

وكل عصبة مهما دقّت مؤلّفة من نوعين من الالياف (الاّ بعض الاعصاب) الياف حس والياف حركة . فاذا تاملنا في اعصاب الحبل الشوكي مثلاً نرى ان كل عصب ينشأ من جذرين جذر امام الحبل وجذر وراءهُ كما ترى (شكل ٢) حيث نجد ان قسماً من الحبل الشوكي قد نشأ منهُ عصبان عصب عن هذا الجانب والآخر عن ذاك وكلٌّ منهما ناشئٌ من جذرين جذر امامهُ والآخر وراءهُ فالالياف الناشئة من الامام الياف حركة والناشئة من الخلف الياف حسّ ثم تلتقي فتصير عصباً واحداً عليهِ عقدةٌ كما ترى . اما فائدة اعصاب الحس فهي نقل التأثيرات الى العقل فيشعر بها وفائدة اعصاب الحركة اتمام اوامر العقل

٢

قلنا ان العقل لا يتوصّل الى ادراك وجودهِ ووجود ما في الخارج الا بواسطة المجموع العصبي وبالتدقيق يقال ان العقل لا يتوصّل الى ذلك الاّ بواسطة قسم من مجموعهِ العصبي وهو اعصاب مشاعرهِ الخمس وهي البصر والسمع والشم والذوق واللمس . وبيان ذلك انهُ اذا اصابت اليد جمرة نار مثلاً تاثرت اعصاب الحس التي اصابها النار ونقلت التاثير حالاً الى الحبل الشوكي لاتصالها بهِ ونقلها الحبل الشوكي الى الدماغ فيعرضها الدماغ للعقل فيعلم العقل بكيفية لا يعلمها الاّ الله ان ذلك المؤثر

موجود ويعلم ايضاً انهُ علم ذلك فيامر الدماغ بان يبلغ اعصاب الحركة ان تبعد اليد عن النار فتبعدها . واذا ابصرت العين ماء تؤثر صورة ذلك الماء في العصب البصري فينقل التاثير الى الدماغ راساً لا تصالهِ بهِ فيعرضهُ الدماغ للعقل فيعلم العقل بوجود الماء في الخارج ويعلم ايضاً انهُ علم ذلك فيأمر الدماغ مثلاً أن يُبلِّغ اعصاب الحركة في الرجلين تحامي والجسد الى ذلك الماء فتطيعهُ وهكذا يقال في بقية المشاعر . فيتحصَّل من ذلك ان العقل يتَّصل بواسطة الحواس الى ادراك ما هو خارج عنهُ والى العلم انهُ هو الذي ادرك ذلك الادراك وبهِ يعلم اولاً انهُ موجودٌ وادراك العقل نفسهُ على ما تقدم يُسمَّى بالوجدان فبالوجدان يعلم الانسان وجودهُ من ادراكهِ ما هو خارج عنهُ ويعلم ايضاً افعال نفسهِ من تذكر وتخيُّل وفرح وحزن الى غير ذلك فاذا بطل الوجدان بطل علم الانسان بوجود نفسهِ وبافعال عقلهِ . ويتحصل من ذلك ايضاً ان العقل سلطان والدماغ والاعصاب رُسُلهُ فيأتيهِ بالاخبار من محيط الجسد وتنقل اوامرهُ خاضعةً لارادتهِ وطائعةً لسلطانهِ الَّا الاعصاب الموكولة بالمحافظة على الحياة فتلك لا يتسلَّط عليها العقل ولا هي خاضعة لارادتهِ الا خضوعاً جزئيًّا . لانهُ لما كان العقل سلطاناً واسع الملك كثير الاشغال لم يشا الباري ان يجعل مدار اعمال الحياة تحت سلطانهِ لئلا يغفل عنها فتتوقف وتموت الجسد ولذلك جعلها تحت ادارة غيرهِ . فسواء اردنا ام لم نرد لا نكف معدنا عن هضم طعامها ولا يتوقف القلب عن ايفاء الدم ودفعهِ ولا الرئة عن التنفُّس . نعم انَّا نستطيع توقيف التنفس مدة ولكن هذه الاستطاعة وقتيَّة ولابد بعدها من ان تتنفس رغماً عن ارادتنا فالارادة انما تتسلط على هذه الاعضاء تسلطاً جزئيًّا

وخلاصة المراد من هذا التمهيد ان العقل جوهر مدرك لنفسهِ ولما سواهُ الخارج ذو قوًى متعدِّدة كالذاكرة والخيال وغيرهما ولكنهُ لا يدرك نفسهُ ولا ما في الخارج ولا يبدي قوة من قواهُ اوَّل خلقهِ ما لم ينبِّههُ بشعر من مشاعرهِ الخمس وان قواهُ ان لم تتسلَّط عليها الارادة في توجيهها من موضوع الى آخر تجري افعالها اي الافكار كل مجرًى بلا ضابط . وان بعض اعضاء الجسد خاضعٌ للارادة خضوعاً تامًّا وبعضها كالاحشاء خاضع لها خضوعاً جزئيًّا فقط (مباني اللغة)

الحبر على انواعهِ

(١) الحبر الاسود

وصفة اولى • اسحق اربعة اجزاء وزناً من العفص المرضوض جيداً في اربعين جزءاً ماء صافياً او ماء مطر في قنينة نظيفة وسدها اسبوعين وهزها كل يوم اذا امكنك ثم اضف اليها جزءاً وربعاً صمغاً عربيًّا مذاباً في اربعة اجزاء من الماء ونصف جزء من السكَّر وجزءاً ونصفاً من كبريتات الحديد مسحوقاً (وهو الزاج الاخضر) وهز القنينة مراراً متوالية مدة يومين او ثلاثة فيتولَّد فيها حبر جيد . صفة